الفصل الثالث

الإسلام في إفريقية

إن حكاية الإسلام في إفريقية تستلزم منا شيئاً من الرؤية المتأنية لأحداث التاريخ التي تلاحقت على القارة.

ولقد مرت على القارة كوراث هائلة، لكن -بحمدالله تعالى- كانت إرادة الله وعنايته إلى جانب الأفارقة تحميهم، وتدفع عنهم الضر، وتدفعهم إلى الهداية وإلى طريقه المستقيم.

لقد منَّ الله على تلك القارة بالإسلام، الذي مر بمراحل ثلاثة هي:

* **مرحلة الفتح الإسلامي**، وتبدأ منذ عام ٦٤٠م، وتنتهي بمنتصف القرن الحادي عشر الميلادي؛ فقد فتح المسلمون شمال إفريقية ودخل أهلها في الإسلام، واتجه المسلمون إلى فتح أسبانيا، ولما انعقدت الأخوة بين المسلمين من العرب الفاتحين ومن البربر سكان شمالي إفريقية اندفع اثنا عشر ألفاً من هؤلاء البربر وانتظموا في جيش المسلمين ليشاركوا في فتح الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، سنة ٧١١م.

* **مرحلة فتح غربي إفريقية ومناطق السودان**، وهي تمتد من غربي

إفريقية إلى شرقيها بين المدارين، وتمتد من منتصف القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

لقد انطلقت جيوش الإسلام لتؤسس في السودان ممالك إسلامية عظيمة كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة الإسلامية، ومن تلك الممالك: مملكة غانا ومملكة مالي ومملكة سنغاي.

* **مرحلة النهضة الإسلامية العظمى**، وتمتد من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أي حوالي ١٧٥٠م إلى نهاية القرن التاسع عشر.

في هذه المرحلة نهض الإسلام نهضة عظيمة على أيدي المصلحين من أمثال:

عثمان دان فوديو: الذي نشر الإسلام بين قبائل الهوسا.

الحاج عمر: الذي ولد في السنغال وحج إلى البيت الحرام سنة ١٨٢٧م، ودرس في الأزهر الشريف، وعاد إلى بلاده.

إمام الصمد: الذي اعتنق الإسلام، وأسس حكومة إسلامية في النيجر.

ولقد شاء الله تعالى أن تكون وسائل انتشار الإسلام في القارة الأفريقية هي:

١- **الفتح**: وذلك لأن الإسلام حدّد لأهالي البلاد المفتوحة غير المسلمين أن يدخلوا في الإسلام أو يدفعوا الجزية ويظلوا على دينهم إن كانوا من أهل الكتاب، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾.

٢- ملاءمة الإسلام للفطرة البشرية: إذ جاء الإسلام ليخاطب الفطرة التي جبل عليها الناس، وليخاطب الخلق عن طريق العقل والقلب، فالإسلام دين الفطرة لكل البشر وكما يقول الرسول ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة (أي مسلما) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** ».

٣- الدعاة: فقد قام الدعاة المصاحبون للفتح الإسلامي بالدعوة إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدال أهالي البلاد المفتوحة بالتي هي أحسن، وكانت من أهم وسائل الدعوة المسجد.

٤- التجار: بما سلكوه من سلوك إسلامي وما تحلّوا به من نظافة وطهارة، وبما راعوا في تجارتهم من أمانة جعلت أهالي إفريقية يعجبون بهم ويسعون للدخول في الإسلام ليكونوا مثلهم.

٥- المساواة: ولعلها هي السر الحقيقي في الإقبال على الإسلام؛ فقد ساوى الإسلام بين العبد والحر، وكان معيار التقوى هو معيار الأفضلية في الإسلام والقرب من الله.

والآن؛ هيا نحدثك عن بعض الدول الإفريقية وكيف دخلها الإسلام، وكيف حاربت للحفاظ عليه.

مصر:

تقع مصر في الشمال الشرقي من قارة إفريقية، وتبلغ مساحتها نحو مليون كيلو متر مربع، يسكنها سبعون مليون نسمة، وتتألف من مناطق هي: وادي النيل والدلتا، والصحراء الغربية، ومنطقة قناة السويس، والصحراء الشرقية، وشبه جزيرة سيناء.

ونسبة المسلمين في مصر حوالي ٩٢٪ من مجموع السكان، وكلهم من أهل السنة والجماعة، ثم نسبة ٨٪ من الأقباط الذي ظلوا على ديانتهم النصرانية.

كيف انتشر الإسلام في مصر؟

كانت مصر حتى القرن السابع الميلادي واقعة تحت نير الاستعمار البيزنطي، وحين أقبل عمرو بن العاص -رضي الله عنه- ليفتح مصر فإن أهل البلاد سارعوا إلى الترحيب به لما سمعوا عن سماحة الإسلام، وليخلصوا من الاضطهاد الذي كانوا يعانونه على أيدي البيزنطيين، وتم فتح مصر، وسارع المصريون إلى الدخول في الإسلام حبًّا في تعاليمه، وكان للدعاة المصاحبين للفتح الفضل في سرعة انتشاره في البلاد، ومن مصر انطلقت طلائع الفتح الإسلامي لتنشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية كلها.

وظلت مصر مركزاً للإشعاع الثقافي والثقافة الإسلامية إلى أن أقبلت الحملة الفرنسية واحتلتها سنة ١٧٩٨م، على يد نابليون بونابرت الذي حاول طمس حضارتها الإسلامية، لكنه فشل، وقامت في وجهه ثورات زعماء الإسلام في الأزهر الشريف من أمثال عمر مكرم، ولما جلت الحملة عن مصر وقعت في براثن الإنكليز سنة ١٨٠٧م، وظل الإنكليز يتربصون بها الدوائر إلى أن تم احتلالهم العسكري لها بهزيمة قائد الثورة العرابية سنة ١٨٨٢م، إلى أن تحررت، ونشط الأزهر إلى القيام بزعامة العالم الإسلامي، وقامت جامعته العظيمة ببعث نور الدعوة الإسلامية وإرسال البعوث إلى شتى أنحاء الدنيا للدعوة للإسلام، كما توالى استضافة مندوبي الدول الإسلامية لعقد المؤتمرات الإسلامية لنشر رسالة الإسلام في بقاع الدنيا وذلك في العاصمة القاهرة.

السودان:

تقع السودان جنوبي مصر، وتحدّه من الشرق أريتريا والحبشة، ومن الجنوب كينيا وأوغندة وزائير، ومن الغرب ليبيا وتشاد وجمهورية إفريقية الوسطى، مساحة السودان حوالي ٢,٥٠٥,٨١٣ كيلو متر مربع، ويسكنه نحو ثلاثين مليوناً من البشر. ولا تزال الحياة القبلية معروفة في السودان.

أما عن انتشار الإسلام في السودان فيرجع إلى عام ٣١ للهجرة أو ٦٥١ الميلادي حين غزا الصحابي الجليل عبدالله بن سعد بن أبي السرح من مصر من جهة الشمال فدخل النوبة في خلافة عثمان بن عفان، ووصلت الحملة إلى دنقلة، وتمت هدنة بين طلائع الفتح وملك النوبة. وظل السودان والنوبة على تلك الحال إلى أخريات القرن الثالث عشر الميلادي حين وفدت على السودان قبائل عربية إسلامية اندمجت في أهل البلاد، وخاصة في النوبة، واعتنق ملك دنقلة الإسلام فانتشر الإسلام بين الأهالي، ثم قامت دولة الفونج القوية في القرن الخامس عشر، وسرعان ما اندفع أهل السودان إلى القاهرة ليتعلموا أصول الدين الإسلامي، لقد تأسست سلطنة الفونج في سنار، واشتد عودها من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين.

وتفانى الفونج في نشر الدعوة الإسلامية في مملكة سنار، وانتهت سيادة الفونج حين غزا العثمانيون السودان وبلاد النوبة وضموهما إليهم، ثم وقع السودان في قبضة الإنكليز واحتلوه إلى أن استقل في مطلع كانون الثاني ١٩٥٦م، وانضم إلى جامعة الدولة العربية ١٩٥٦م، وإلى الأمم المتحدة في العام نفسه، وتؤرق السودان والعالم الإسلامي محاولة الجنوب النصراني الانفصال عن الشمال المسلم بقيادة الصليبي المتعصّب جون قرنق.

أوغندة:

بلد إفريقي يقع إلى الغرب من كينيا وإلى الشرق من الكونغو، وإلى الجنوب من السودان، وإلى الشمال من رواندا.

مساحة أوغندة نحو ٢٤٣ ألف كيلو متر مربع، يسكنها نحو ١٥ مليون نسمة منهم نحو ٣٥٪ من المسلمين، وهي نسبة ضئيلة للغاية، وعاصمة البلاد هي كمبالا.

كان للقوات السودانية التي انخرطت في جيش المسلمين أخريات القرن التاسع عشر الفضل في نشر الإسلام في أوغندة والتي آثر بعض رجالها أن يستمروا في العيش بأوغندة بعد اندلاع الثورة المهدية بدل أن ينسحبوا من البلاد، كما ساهم التجار المسلمون في نشر الإسلام حين وفدوا على أوغندة من ممباسا.

لكن، وأسفاه!! نشط التبشير النصراني في تلك المنطقة بتشجيع من الاستعمار الأوربي مما تسبب في ثبات نسبة المسلمين بالبلاد؛ لذا نرى أنه من الضروري أن يهتم حكام العالم الإسلامي بتلك المنطقة ويوجهوا إليها البعثات الإسلامية ومواكب الدعوة.

المغرب:

من أعظم بلاد العالم الإسلامي وتقع في المنطقة المعتدلة، ويحف بها البحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب، وتحدها الصحراء من الجنوب الشرقي والجزائر من الشرق.

والعاصمة هي الرباط، ويتألف سكان المغرب من عرب وبربر ويهود وعدد السكان نحو ٢٠ مليون نسمة يعيشون على مساحة ٤٤٦,٥٥٠ كيلو متر مربع.

أما قصة انتشار الإسلام في المغرب فتعود إلى سنة ٦٣ للهجرة، ٦٨٢م، حين فتح القائد العربي عقبة بن نافع المغرب الأقصى، ثم اعتنق البربر الإسلام وساعدوا جيش الإسلام على فتح أسبانيا، وظل المغرب تابعاً للدولة العباسية إلى أن انتزعه إدريس بن عبدالله واستقل بها مؤسساً دولة الأدارسة سنة ١٧٢هـ، لكن ما لبث المغرب أن غلبت عليه دولة العبيديين، وتم تقسيم المغرب بين الدويلات والممالك، إلى أن استولى المرابطون على البلاد بقيادة يوسف بن تاشفين، ثم انتقلت إلى حوزة الموحدين على يد ابن تومرت إلى أن انهزم الموحدون في معركة (العقاب) سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، واستقل بنو حفص بإفريقية وبنو زيان بتلمسان وبنو مرين بمراكش.

وهاجر كثير من عرب الأندلس إلى المغرب هرباً من الاضطهاد الديني بعد سقوط غرناطة في قبضة الأسبان سنة ١٤٩٢م.

ولما احتلت فرنسا الجزائر ١٨٣٠م، سعت إلى احتلال المغرب إلى أن كان مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦م الذي فرض النفوذ الفرنسي على البلاد، ولم تلبث البلاد أن وقعت تحت الحماية الفرنسية سنة ١٩١٢م، لكن تم استقلال المغرب سنة ١٩٥٦م، وانضمت إلى الأمم المتحدة في العام نفسه، ثم إلى الجامعة العربية سنة ١٩٥٨م.

الجزائر:

هي بلد إفريقي عاصمته الجزائر، يسكنه نحو ٢١ مليون نسمة يعيشون على مساحة حوالي ٢,٣٨١,٤٧١ كيلو متر مربع.

تطل الجزائر على البحر المتوسط، يحدها شرقاً تونس وليبيا وغرباً المغرب وشمالاً البحر المتوسط وجنوباً النيجر ومالي.

وتصل نسبة المسلمين إلى عدد السكان حوالي ٨٩٪ وهم أصلاً من البربر الذين دخلوا في الإسلام إلى جانب أوربيين من فرنسا ويهود.

ويعود انتشار الإسلام هناك إلى الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري.

ولما أقبل العبيديون واحتلوا المغرب العربي في عهد المعز لدين الله العبيدي عهد إلى قائده بلقين الصنهاجي بأمر المغرب فانطلق إلى بناء عدة مدن في الجزائر. وغلب الموحدون على أمر الجزائر، لكن بنو زيان أسسوا في الجزائر دولة جعلوا حاضرتها مدينة تلمسان، حوالي سنة ٦٣٠هـ، ونبغ من هذه المدينة العظيمة المؤرخ المعروف المقري صاحب نفح الطيب.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني استطاع عروج قائد البحرية العثمانية وأخوه خير الدين بربروسا الاستيلاء على الجزائر، وحكم بربروسا الجزائر تحت لواء العثمانيين سنة ١٥١٩م، وأصبحت الجزائر ولاية عثمانية.

لكن فرنسا طمعت في البلاد فغزتها واحتلتها يوم ٥ تموز سنة ١٨٣٠م.

وبعد الثورات والكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال حصلت الجزائر على استقلالها في ٥ تموز ١٩٦٢م.